

228911 - إشكال حول اختلاف نظم الآيات ، في قصة واحدة ، بين سورة وأخرى

السؤال

أرجو الرد على شبهة من يدعي تعارض الآية (قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) ، والآية (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) ، وتعارض الآية (قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) والآية (قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

الآيات التي تسأل عنها هي : قول الله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) الأعراف/ 109 - 112 .
وقول الله تعالى : (قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) الشعراء 34 - 37 .

ففي سورة الأعراف نسب القول للملأ ، وفي سورة الشعراء نسب لفرعون ، وهذا ليس تعارضا ، لأن الجميع قد قالوا هذا القول ، ومن شأن الحاشية أن تردد كلام ملكها ، فهم جميعا قالوا : (إن هذا لساحر عليم) .
قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) أي : قال الملأ - وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون - موافقين لقول فرعون فيه ، بعد ما رجع إليه روعه ، واستقر على سريره مملكته بعد ذلك ، قال للملأ حوله - : (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فوافقوه وقالوا كعقالته ، وتشاوروا في أمره ، وماذا يصنعون في أمره ... " .

انتهى من " تفسير ابن كثير " (3 / 455) .

وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى :

" (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) وفي الشعراء : (قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) .

والجمع بينهما : أن فرعون وهم قالوا هذا الكلام ، فحكى هنا قولهم ، وهناك قوله .

أو قاله ابتداء ، فتلطفه منه الملأ ، فقالوه لأعقابهم ، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ ، كما تفعل الملوك ؛ يرى الواحد

منهم الرأي ، فيكلم به من يليه من الخاصة ، ثم تبلغه الخاصة العامة " انتهى من " البحر المحيط " (4 / 358) .

فإن قيل : إذا كانوا كلهم قد قالوه ، فما وجه مناسبة تنويع نسبة هذا القول ، فمرةً نسب إلى فرعون ، ومرةً أخرى إلى الملائكة ؟
فالجواب :

أن نسبة القول جاءت في كل موضع موافقة لسياق القصة.

ففي سورة الأعراف ذكر الملائكة في بداية القصة وأن موسى عليه السلام أرسل إليهم ،
فناسب ذلك أن يذكر ردهم حين خاطبهم موسى عليه السلام ، وأراهم الآيات .
وأما في سورة الشعراء ، فلم يذكر فيها الملائكة .

قال الله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) الأعراف/
103 .

قال أبو جعفر بن الزبير الغرناطي رحمه الله تعالى :

" بقى السؤال عن وجه اختصاص كل سورة بما خصت به ؟

والجواب أنه لما تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) ، فوقع ذكر الملائكة
مبعوثاً إليهم مع فرعون ، ناسب ذلك أن يذكر في الجواب حتى يكون في قوة أن لو قيل : بعث إليهم وخطبوا ، فقالوا ، ولم
يكن ليناسب " بعث إليهم " فقال : فرعون ...

فإن قيل : فقد قيل في الأعراف : (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) فقد قدم فرعون ، فهو أعمد من الملائكة لأنهم أتباعه وآله ، فلم لم يُبين الجواب
على ذلك فيقال " قال فرعون " ؟

فالجواب : أنه لو قيل : قال فرعون لبقى التشوف إلى تعريفهم قول الملائكة وهم قد بعث إليهم وخطبوا ولا بد من تعرف جوابهم
...

ثم قال : " ولما تقدم في سورة الشعراء قوله : (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ) ثم جرى ما بعد المحاورة ومراجعة الكلام بين موسى ، عليه
السلام ، وفرعون ، ولم يقع الملائكة هنا ، ناسب ذلك قوله " قال فرعون " لأنه الذي راجع وخطب ، فجاء كل على ما يناسب " .
انتهى من " ملك التأويل " (1 / 214-215) .

وقال البقاعي رحمه الله تعالى : " (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) أي شديد المعرفة بالسحر ، وخص في هذه السورة إسناد هذا الكلام
إليه ، لأن السياق كله لتخصيصه بالخطاب ، لما تقدم ... ولا ينفي ذلك أن يكون قومه قالوه إظهاراً للطواعية - كما مضى في
الأعراف " .

انتهى من " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " (14 / 29) .

ثانياً :

قال الله تعالى في سورة الأعراف : (قَالَ إِنْ كُنْتَ جِنَّتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) الأعراف/106 .
وقال سبحانه في سورة الشعراء : (قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ، قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) الشعراء/31 .
ففي سورة " الأعراف " (فَأْتِ بِهَا) فأنت الضمير لأنه راجع إلى لفظ (آيَةٍ) وهي مؤنثة .
وفي سورة " الشعراء " (فَأْتِ بِهِ) فذكر الضمير لأنه راجع إلى (شَيْءٍ مُّبِينٍ) وهو لفظ مذكّر .

ولعل وجه الإشكال عند السائل هو :

أن الواقعة واحدة ، ولا بدّ أن فرعون قال لفظاً واحداً ، فلماذا جاء في القرآن بلفظين ؟

والجواب :

من المعلوم ، أن الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون لم يكن باللغة العربية ، وإنما كان بلغتهم ، وهذا القرآن قد نزل بلسان عربي مبين .

فأله سبحانه وتعالى يذكر لنا معنى الحوار الذي جرى بينهم ، وليس نفس ألفاظ الحوار لأن اللغتين مختلفتان .

ونقل معنى كلام ما ، إلى لغة أخرى : يجوز أن يُعبر عنه بأي لفظ يدل على المعنى ، ولا يشترط الالتزام بلفظ معين ، بل التنوع في التعبير ، مع الحفاظ على المعنى : هو من البلاغة المحمودة .

و " الآية " ، " والشيء المبين " في لغة العرب : معناهما واحد ، وهو : كل ما يدل بوضوح على الحق ويميزه عن الباطل .

قال أبو جعفر بن الزبير الغرناطي رحمه الله تعالى في مسألة شبيهة بموضوعنا :

" والجواب عن السؤال الأول : أن قول موسى ، عليه السلام ، لا توقف في أنه لم ترد حكايته إلا بالمعنى ، لاختلاف اللسانين

كما تقدم ، وإذا تقرر كونها بالمعنى ، والترادف فيما بين اللغتين ، في كل لفظتين يراد بهما معنى واحد ، غير مطرد ؛ فلا إشكال في أن المعنى قد يتوقف حصوله ، على الكمال ، على تعبيرين أو أكثر ، لا سيما مع ما في اللسان العربي من الاشتراك والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والحقيقة والمجاز ، وغير ذلك من عوارض الألفاظ ، فكيف ينكر اختلاف التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ وعبارات مختلفة؟! "

بل نقول : إنه لو كان المحكي قولاً عربياً ، وحكي بالمعنى : لما استنكر اختلاف العبارة ، فكيف مع اختلاف اللسانين ؟ " انتهى من " ملك التأويل " (2 / 337) .

ولمزيد الفائدة راجع الفتوى رقم : (140060) .

والله أعلم .